

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ..

فالأهمية موضوع الأفكار عموماً، والفكر الغربي تحديداً، ولأني أواجه أحياناً حيرة في اختيار الكتب المناسبة للاطلاع، فقد بعثت بسؤال إلى أ.د. حسن الأسمرى، الأستاذ المتخصص في هذا الشأن وله مجموعة أبحاث، مطبوعة أو منشورة، ومنها: الفلسفة والنص، النظريات العلمية الحديثة ومسيرتها الفكرية - دراسة نقدية، تاريخ القراءة الجديدة للقرآن: دراسة نقدية عقدية، واقع الأديان ومستقبل الإسلام: دراسة استشرافية، الوعي الفكري: مفهومه ومجالاته، وغيرها..

فأجابني مشكوراً ، وقد استأذنته في نشر جوابه رغبة في تعميم الفائدة ، فوافق مشكوراً .

(د. عبدالله بن علي الشهري)..

د. حسن : السلام عليكم دكتورنا

السؤال: لو طلب منكم ترشيح أربعة أو خمسة كتب، تؤرخ للمذاهب الفكرية المعاصرة وجذورها الفكرية ماذا ستقترح . وأيها أهم ؟

جواب الدكتور حسن / حياكم الله حبيبنا الغالي...

هذا السؤال من أصعب الأسئلة، وطلب محير للمتخصص، ...

ولكن أفترض أن صاحب الطلب، إما أكاديمي: معيد أو دكتور في العقيدة أو الدراسات الإسلامية أو تخصصه متصل بالأفكار الحديثة، مثل أستاذ في الاقتصاد أو السياسة أو علم الاجتماع أو التربية أو الإنسانيات في صورتها الحديثة...

أو طالب علم، لا يريد أن يكون بعيداً عن هذا العالم، وبخاصة مع هذه العولمة الإعلامية، وهو جاد في بناء نفسه، ويعرف أن الموضوع بحاجة لبعض الجهد...

لهذا الصنف المميز، يمكن أن أقول التالي:

أولاً: برنامج السماع:

أنصح بالسماع قبل القراءة، وقد يكون الأجود في هذا الوقت، أخذ ذلك عن متخصص، وأقترح ثلاثة مقررات، للدكتور طيب بوعزة، متاحة على الشبكة، كل مقرر في (١٥) محاضرة، أي أن المتلقي بحاجة لسماع (٤٥) محاضرة، وهي مناسبة لأصحاب برامج المشي، وفي مشاوير الرياضة الطويلة، وتتميز بوجود ملف مكتوب مصاحب، وهي ضمن (أكاديمية نماء)، وفي ظني أن النخبة السابقة بحاجة لهذا البرنامج، مع تلخيصه، فطبيعة الإلقاء من متخصص تُسهم في إيضاح الأفكار، أحسن من أخذها عن طريق الكتب، وهذا الفن ما لم يتم أخذه في البداية عن متخصص، فسيضيع وقت طويل قبل حصول الفائدة ..

ثانيا: الكتب والقراءة:

في الآونة الأخيرة، امتلأت المكتبة العربية بالتأليف أو الترجمة في هذا الباب، ومع ذلك، فلا يوجد ما يمكن أن تقول إنه الأنسب، وهذا من طبيعة الأفكار والفلسفات، ولكن يمكن أن نقسم المقترح لقسمين:

قسم عن الفكر الغربي القديم والحديث، وما يتصل به من المذاهب الفكرية والفلسفية، وقسم يتصل بالمعاصر وما يطلق عليه مرحلة ما بعد الحداثة.

ففي القسم الأول: تكون البداية بكتب عبدالرحمن بدوي، بكتابه: مدخل جديدة للفلسفة، ثم: خريف الفكر اليوناني، ثم: ربيع الفكر اليوناني، ثم: فلسفة العصور الوسطى، ثم ندخل في الحديثة مع كتاب يوسف كرم، فهو الذي نشأ عليه المفكرون العرب المعاصرون، وهو: تاريخ الفلسفة الحديثة؛ وأنصح أن يكون بجانب القارئ لكتاب يوسف كرم موسوعة الفلسفة لبدوي بأجزائها الثلاثة، بحيث إذا وجد اسما في كتاب كرم أو مذهبا يرجع للتوسع إلى بدوي، لأن بدوي أدق في فهم الأفكار، وأوضح عبارة في عرضها... فالمجموعة السابقة تغطي مرحلة طويلة: ما قبل الميلاد إلى أول القرن العشرين.

أما النصف الأول من القرن العشرين، فأصح بكتاب بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، فهو يغطي فترة تبدأ من نهاية التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين.

القسم الثاني: مرحلة ما بعد الحداثة

هناك ثلاثة كتب قد تكون الأنسب، لسهولة نصوصها، وإلمامها بالمرحلة وأفكارها الأساسية وما يتصل بها من مذاهب، ويمكن أن نجد مجموعة مفاهيم لهذه المرحلة، مثل: ما بعد الحداثة، العولمة، النسوية، المابعديات الأساسية وهي: مابعد البنوية، ما بعد الماركسية، مابعد الرأسمالية، ما بعد العلمانية، وهذه الكتب هي:

الابتداء بكتيب: زمن الـ"ما بعد"، د. السيد نصر

ثم ما بعد الحداثة: دراسة في المشروع الثقافي الغربي، د. باسم علي خريسان

ثم الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د. عبدالوهاب المسيري

وبما أن النسوية مذهب مشهور في العالم اليوم، وأشهر مذاهب ما بعد الحداثة، فأنصح البدء بكتاب:

مفهوم النسوية لأمل الخريف، مفتاح جيد للموضوع.

وفي القسمين، هناك العديد من الشخصيات؛ لأن دراسة الفلسفة هي دراسة فلاسفة في النهاية، ويمكن التركيز أولاً على هذه الأسماء لما تمثله من ثقل في المجال: ففي العصر القديم هناك أولاً الثلاثي المهم: سقراط وأفلاطون وأرسطو، يأتي بعدهم في مرحلة اشتهاار اليهودية والنصرانية: أفلوطين، ثم فلاسفة العصر المسيحي وبخاصة: أوغسطين وتوما الأكويني؛ ثم فلاسفة العصر الحديث بداية بديكارت وبيكون، ثم فلاسفة التنوير وبخاصة: جون لوك، روسو، ومونتسكيو؛ ثم كانط وتلميذه هيجل، وفي التاسع عشر هناك مجموعة: داروين، ماركس، بنتام، مل، كونت، وليم جيمس وأصحابه البراجماتيين، دوركايم، فرويد، وبعضهم امتدت حياته حتى أول العشرين، وفي القرن العشرين هناك هيدجر، سارتر، سيمون، جديمر، ثم هابرماس، بول ريكور، وقد تركت الكثير، وبخاصة أصحاب البنيوية وما بعدها والوضعية المنطقية والنظرية النقدية وفلاسفة ما بعد الحداثة لأن غير المتخصص سيغرق فيها دون فائدة كبيرة.

ثالثاً: الكتب الشعبية

هناك كتب شعبية، وهي مشهورة جداً، وكانت هي طريق المبتدئ، ولكن بما عيوب التهويل والتضخيم، فتفسد تصور القارئ، جذابة ولذيذة في القراءة، وهي:

تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ستروميرج.

تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون.

تكوين العقل الحديث، جون راندال.

قصة الفلسفة، ويل ديورانت.

لن يعدم القارئ لها من الفائدة، ولكنها تقوده للاقتناع بتلك الأفكار لجمال العرض...

رابعاً: المذاهب والفلسفات

هناك مجموعة مدارس أو فلسفات أو مذاهب، تأتي دراستها بعد إجادة ما سبق، وأهمها (٢٠): العقلانية، العلمانية، الإنسانية، المادية ويتبعها الماركسية، الوضعية، التنوير، الاشتراكية، الرأسمالية، الليبرالية، الديمقراطية، التطورية، الوجودية، البراجماتية، التأويلية، البنيوية، التفكيكية، الحداثة، مابعد الحداثة، النسوية؛ ومعلوم أن في كل واحد منها مكتبة كبيرة، ولو جمعنا ما كتب في الديمقراطية، لخرجنا بمئات الكتب والمقالات والأبحاث، ويحتاج الواحد إلى عمر العديد من القراء حتى ينجزها، وغير المتخصص هو بحاجة لمعرفة المميز لها، وليس ما تشترك به مع غيرها، وهناك أربعة منها بحاجة أن يبدأ بها قبل غيرها، فإذا فهمت جيدا، سهل فهم مابعدهما، وهي: العقلانية، العلمانية، المادية، والإنسانية، وأخطر هذه الأربعة: المادية والعلمانية؛ وكل مذهب من هذه بحاجة لمستويات في السماع والقراءة، مبتدئ ومتوسط ومتمكن، وما بعد المتوسط هو يعرف سبيله، ولكن للمبتدئ يمكن أن تكون بدايته مع مواد (الموسوعة العربية العالمية)، فمادتها في الجملة من متخصصين محترفين، وتصلح للمبتدئ ولا يستغني عنه المتوسط، ...

خامسا: أمور تحدث في الطريق

الأول: هناك موازنة عسيرة بين أهمية الوعي بهذه الأمور، وبين ما يمكن أن تحدث في متلقيها من مشكلات؛ فعلى من قرر دخول المجال أن يحسب لذلك حسابه، وأحسن النصائح هنا هو التواصل مع متخصص في بداية الطريق، بحيث يساعده في تجاوز الصعوبات، وتوقي المشكلات، واختصار المسافات، ومع ذلك وقبله، إحسان النية، والاستخارة، وصدق الدعاء في التوفيق والسداد.

الثاني: عادة ما يصاب العديد في البداية بصدمة، حيث تبهره هذه الأفكار، وتعجبه موضوعاتها ومفاهيمها، ويجد فيها ما يقبله العقل والفطرة، وما يتفق مع الحق الذي معه، فربما يحسن الظن في الباقي بسبب ما صادفه في البداية؛ فإذا علم أنها منظومة فيها أشياء صحيحة ولكن في نفس الوقت فيها مشكلات خطيرة، فيتوازن في التعامل معها، ويدخل فيها برفق، ويتنبه من مزالقها، ويتذكر هدفه وغايته من مطالعتها، ويتذكر أن معه أعظم نور وهدى وهداية، فلا يقدم عليها شيء، ويجعل ما معه هو معيار ما يقبل أو يرفض.

الثالث: يستسهل البعض هذا المجال، ويظن أنه بقراءة مجموعة كتب وحصوله على بعض الدروس، مؤهل للحديث في المجال والكتابة فيه، وقد وقع منا الكثير في هذا الغلط، وهنا لابد أن نفرق بين ما يكون هدفه تحقيق الوعي بما حولنا من مذاهب وتيارات وأفكار، وهذا قد يتحقق بالمقترحات السابقة، وبين أن ينشط الواحد في دراسة هذه الأفكار والكتابة حولها قبولاً أو نقداً، فهذا مستوى آخر بحاجة لزمان طويل من

التخصص، وامتلاك أدوات إضافية في نظرية المعرفة ومناهج البحث ومهارات التفكير العليا كالنقد والتحليل والتركيب والجدل والمناقشة والقراءة والتأويل وغيرها، وأن يعرض في البداية ما يكتبه لمجموعة مختصة، ويسمع رأيها، ومدى تأهله في ذلك، وهو الذي يكون في العادة للعدد القليل من الناس، وهذا معلوم في كل أمة أو حضارة.

ختاماً، هو باب مهم لابد من دخوله من القادرين، وتأهيل المختصين له، لقيادة هذا المجال، وفي نفس الوقت، هناك العديد لابد من حصولهم على مستوى معين يحقق الوعي ويساعدهم في تخصصاتهم وفي واجباتهم، أتمنى أن يكون ما قدمت قد حقق الإجابة، والله الموفق...